# حكاية وردة

( كتبها الشاعر فى طرس جعله كفناً لوردة ذبلت عنده وهى هدية من آنسة فاضلة ووضع تلك البقية من الوردة فى وعاء من أوعية الزينة البيتية مورق مزهر هو أشبه بالمهد منه باللحد )

هذى حكايةُ وردةٍ تَحْلَى بسيرتها السِّيَرْ
شغلتْ مكاناً من حيا ى لم يزلْ عَبِقَ الاثرْ

***

فى ذلك الزمن الذى هو أمسِ لا عهدٌ عهيدْ
لكن أَشَرْتُ ببعده إذ كلُّ منصرمٍ بعيدْ
ظَفِرَتْ يداى بها وكا نت آيةً بين الزَّهَرْ
من فاخر الورد الذى يَسبى بروعتهِ الفِكَرْ
ممشوقةٌ أوراقُها مضمومةٌ ضَمَّ الشَّفَهْ
تشفى بهجتها أوامَ المقلة المترشِّفَهْ
عَذراءُ جادَتْ لى بها عذراءُ من اخواتِها
بعفافها وعبيرها وبشائقاتِ صفاتِها
فحفِظْتُها حِفْظَ الحر يِص عنايةً وتعهُّدَا
ومَنَحتها حظَّ الحصـ ـيص رعايةً وتودُّدَا
أحللتُها مستبشراً خيرَ المواضعِ فى الحمى
وظللتُ أياماً أجا ورُ نفحةً وتبسما

حتى اذا ما آذنَ الـ قَدَرُ المتاحُ ببعدها
زاد الشَّجى فى النفس رُز ئى مرّتين بفقدها
فى البَدءِ مات بها الجَمَا لُ وعمرُهُ أبداً قصيرْ
لكنْ أقام عَبيرُها فَجعلتُ سلوايَ العبيرْ

* * *

هذى عروسُ الورد أم سَت بِزرةً أوشِبهَ ذاكْ
جِسمٌ ألمَّ به الردى فاجفَّهَ والروحُ ذاكْ
صَيَّرْتُ جَبيِ مِن شَما ل الصدر موطنَها الأمين
ولبثتُ آناً بعد آ نٍ أنشِقُ العطرَ الكمينْ
طِيبٌ أَحِسُّ بشمِّهِ ما ظلَّ فيها من رَمقْ
وعلى توالى نقصهِ منها يزيدُ بىَ الفرَقْ
أخشى وأحزنُ كُلَّما مَرَّتْ سويعاتُ الوصالْ
وأوَدُّ لو بجوارها للقلبِ مُدَّتُها تُطالْ
لكنْ متى حُمَّ القضا ءُ فليس يدفعه الحَذَرْ
ماذا يَرُدَّ عليك فَرْ طُ الحرصِ والجارى قَدَرْ؟
أصبحتُ يوماً وهى قد جادت بفضلةِ عِطْرها
وبدا عليها أنها فاضتْ بقيَّةُ عمرِها

* * *

فاستوحشتْ نفسى وكنـ ـتُ بجارتى مستأنِسَا
وأَسِيتُ أقصى ما تجيزُ طبائعُ الزَّهرِ الأَسَى
لا تقبل الازهارُ أَن تُبكَى وغايَتُها الفِدَى
هى للتهانِىءِ فى الحيا ةِ وللتعازى فى الرَّدى
لكن ضَنَنْتُ بوردتى عن أن تُرَدَّ الى الثرى
آثرتُها لىَ دونه وحَرَى بها أن تؤثرَا
تلك التى بحياتها ملأَتْ عيونَ المعجبينْ
عادت عقيبَ مماتها هِنَةً لها شَبَهُ الجنينْ

شَبَهٌ صنعتُ بوَحْيِهِ ... لحداً حكى المهدَ الجميلْ
ما المهدُ الا اللحدُ فى ... حَدَّيْن بينهما سبيلْ
شاكلتُ بينهما وما ... قصدى مُشاكلةُ الصِّفَهْ
لكنْ يُهانُ القلبُ أحـ ... ـياناً ببغضِ الفلسفَهْ
المهدُ رَمْزُ العَوْدِ أو ... رَمزُ الوجود مجدَّدَا
والعَودُ فى الاحياء لي ... س يكون الا مولِدَا
فلمعنَيين كلاهما ... فيه رجاءٌ أو عَزاءْ
هيَّأتُ ذاك المهدَ مو ... فورَ المحاسنِ ما أشاءْ
أرجو به التبشيرَ إنْ ... كان التجدُّدُ يُؤمَلُ
أو أبتغى التذكيرَ والـ ... ـذِّكرى نُشورٌ أولُ

* * *

النفسُ أمٌّ كالطبيـ ... ـعة ليس تفتأ تَخلُقُ
وتُعيدُ فى رسم جَديـ ... ـدٍ كلَّ شىء يَخلُقُ
فبالابتكار تصوغُ ما ... يَهدِى اليه وَحْيُها
وبالادِّكارِ تَرُدُّ أشـ ... ـتاتَ شجاها نأْيُها
ما أعجبَ الذكرى وأشـ ... ـفاها لتبريح الجَوَى
نُورٌ به تجلو النُّهى ... ما حجَّبتْ عنها النَّوى
ولوردتى ما دُمتُ حيـ ... ـّاً بَعْثَةٌ فى خاطرى
وبه يُقبِّلُها فمى ... وبه يراها ناظرى
فاذا جرى أنى نسيـ ... ـتُ وربما نسىَ الفَطِنْ
فالمهدُ يمنح يقظةً ... طَرْفَ الضمير اذا وَسِنْ
مَهدٌ بشكل خميلةٍ ... غناءَ حانيةِ الغصونْ
أنزلتُها مِن قلبه ... فى منزلِ السِّرِّ المصونْ
فى كل يوم حَوْلَ ذا ... كَ المهدِ أسرابُ المنىَ
وطوائفُ الفكرِ السوا ... نح فى تلاميعِ السَّنىَ
ما بينَ مُمسيةٍ تُرَفـ ... ـرِفُ حوله أو مُصبحَهْ
شبهَ الفَراشِ تخالُها ... زهراً يَطيرُ بأجنحَهْ

يَعقِدنَ رؤيا للتى ماتت فتحسَبُ حالِمهْ
وعلى رقيقِ الشدوِ يُو قِظنَ العروسَ النائمهْ
فتعودُ تلك الوردةُ ا زهراءَ زاهيةَ الورَقْ
ملءَ الضميرِ بحسنها وكأنها مِلءُ الحَدَقْ
لا تَبْعَدِى أَىْ وردتى ما غابَ الا مَن سلا
لله ما أخلى الفؤا دَ إذا من الذكرى خلا
ما ماتَ مَن لمحبِّه قلبٌ وفىٌّ يُنشِرُهْ
القلب يطوى الغيبَ فى أثر الحبيب فيُحْضِرُهْ
تالله انك ما مكثـ ـتِ عن الحياة مُغيَّبَهْ
لَنَضيرةٌ فى مُقلَتىَّ وفى فؤادى طيِّبَهْ

* * *

يا رَبَّةَ الشِّيَمِ النبيـ ـلةِ هكذا نُبْلُ العطاءْ
كلُّ الازاهرِ للتى هى منكِ فلتكُنِ الفداءْ
فازت ببعض القربِ منـ ـكِ وذاكِ عِزٌّ لا يُرامْ
فلذاكِ أمستْ فى الورو دِ وقد أقيم لها مَقامْ
أدَّتْ امانتَها ادا ءَ الحقِّ فى دار الشقاءْ
واليكِ أهدتْ عُمرَها بحماتها ، فلكِ البقاءْ

خليل مطران